

رافعة يون

من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

فخرى إبراهيم

العدد (5405) السنة العشرون

الخميس (6) نيسان 2023

فهمي المدرس

150 عاماً على ميلاده

للمرة الأولى أكتشف:

فهemi المدرس أدبيا.. نظرة في شعره ونثره

داعيا الى نهضة المسلمين وتضامنهم. وقد قال في خطاب القاء بحفل المولد النبوي في حزيران ١٩٣٧.

"ثلاثة عشر قرنا تتابع على حياة البشر وهي تملئ علينا من مناقب هذا اليوم ما مالا بطون التواريخ، ولم تبلغ شأوها البعيد.

وفي مثل هذا اليوم من كل عام تتجاوب انحاء العالم الاسلامي بما يردده الخطباء والشعراء وما تفيض فيه الاقلام من اسرار ذلك المجد الذي تالاً نوره في بطحاء مكة وسارت ركباته بتلك السرعة الخارقة حتى بلغت مشارق الارض ومغاربها، وكانهم ما قالوا، وكانهم ما كتبوا.

ثلاثة عشر قرنا والعلم يكشف للناس من حقائق دين الاسلام ما لا يبقى شكاً في ان هذا الدين اجل واعلى مما تفهمه الاكثريه الساحقة من المسلمين في هذا اليوم.

ان تعاليم دين الاسلام جاءت بحسب تطور المدارك والقابليات واستعدادها لقبول ذلك الانقلاب الخطير. ولم تكن مقصورة على قوم او على زمن او على قطر من الاقطار، وانما هي نظم واقوانين ثابتة تتمشى مع العلم والعقل كلما تطور البشر واتسعت مداركه بمقتضى قاعدة النشوء والارتقاء.

بنيت سياسة هذا الدين على اساس العدل والاحسان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتساوي في الحقوق وتوسيد الامور الى اهلهما وجعل نظام الحكم شورى بين الناس. ومن اسسه الاجتماعية الصدق والاخلاص وتهذيب النفس وطب العلم وقوة العزم والارادة والتعاون على البر والتقوى والتوازن بين الفقراء والاغنياء ومواصله السعي والعمل الى غير ذلك مما هو منصوص عليه في كتاب الله العزيز.

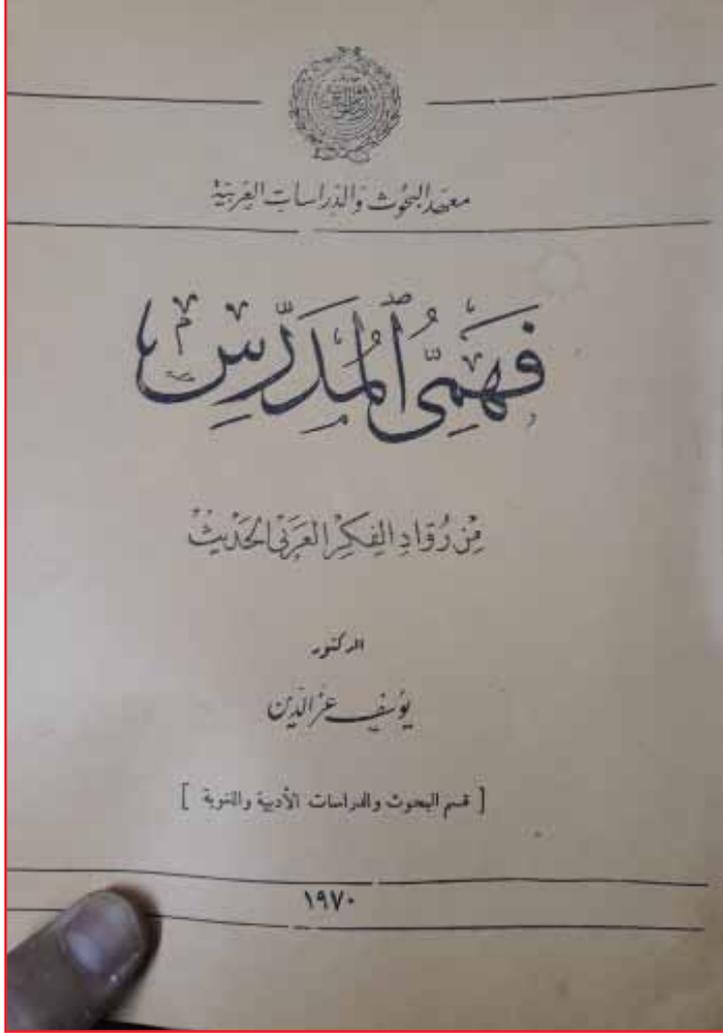
فدين الاسلام هو دين التمدن والحضارة، وهو دين العلم والسياسة، وهو دين الانسانية المتكاملة في مكارم الاخلاق، وهو الدين الكافل للبشر سعادة الدارين في كل زمان ومكان..

ثم اشار المدرس الى عوامل الانحراف عن النهج الاسلامي القويم. واجتماع العوامل الهدامة في الداخل والخارج للفت في عضد الدين، واتكال المسلمين على ماضيهم وانغماسهم في المآلذ والشهوات وانقطاعهم عن العمل واختلاف نزعاتهم وتفرق شملهم، وما افضى اليه كل ذلك من الضعف وخذلان وانحطاط وقال:

"والآن وقد اصبحوا من المستضعفين في الارض لايملكون من الامر شيئاً حتى في ديارهم وفيما ملكت ايديهم، فما لهم الا ان يرجعوا الى تعاليم دينهم القائمة على اساس الوحدة والاخوة، وينبذوا الاختلافات المذهبية والنزعات العنصرية، ويستحووا العزائم من ماضيهم، ويستمدوا القوة من دينهم، ويصلحوا من الاخلاق ما ظهر منها وما بطن، ويعودوا للحياة عدتها المطلوبة في هذا العصر. وحسبهم ان يكونوا عائلة على الامم في جميع لوازم الحياة ونصيبهم منها الحثالة، وهم من عصارة خير امة اخرجت للناس، ويجعلوا نصب اعيانهم انا تأخرنا عن الامم في مضمار الحياة اربعة قرون، وان الرقابة بين الامم تستقر الهمم وتبعث من عزائمهم ما يزيدهم في كل يوم بأساً وقوة.

ذلك ما يحتم على كل مسلم ان يفكر ويقوم بواجبه ازاء هذا الوضع الخطير، عسى ان يقف النثر عند حده (ولعل الله يحدث بعد ذلك امراً).

عن كتاب اعلام العراق



وينسى سدا جناتها والمغانيا؟
فلي كبد جرى اذا ما تكرتها
وطرف متى ما نبهته كان داميا
بلادي اراها في البلاد عزيزة
ولا ارتضي في العيش الا بلاديا...
ان هذه القصيدة لم تكن رثاء جاشت به نفس صديق لصديقه فحسب، ولكنها نفحة عطرة من نفحات وادي الرافدين هبت على ضفاف بحر ممررة والبوسفور، فنفست عن صدر الاديب العراقي المغترب وهددت اشواقه وامانيه.

وقد ذكر عباس العزاوي بيتاً من الشعر لفهemi المدرس ارخ فيه نصب جسر بغداد الذي اقامه الوالي نامق باشا الصغير في ايلول ١٩٠٣، وهو:
وبمعجم الالفاظ ارخ قائلاً:
مروا عليه ذا صراط مستقيم
ونكر كما ابراهيم تلميذ فهemi المدرس ومريده ان استاذة نظم قصيدة دالية من بحر الكامل في اكثر من سبعين بيتاً اعداها لتلقى في حفلة تخرج الدفعة الاولى من طلبة جامعة آل البيت، قد جاء فيها:

كل الشعوب تحررت من رقتها
الا ابن يعرب لم يزل مستعبدا
لكن الغاء الجامعة حال دون القائتها فنشرت القصيدة في احدى الصحف المحلية بتوقيع مستعار.
نثره واراؤه
كان فهemi المدرس وطني النزعة، اسلامي الفكرة،

وفي الجو او قعر البحار وفي الثرى
اذا ما احتمى لاقى الردي والرواميا
وما ابقت الايام - يا ويحها - لنا
كهولا ولا ابقت لدينا نزاريا
سئمت من الدنيا جميعا واهلها
وغادرت هذا العيش لله غاديا
ولو كان عقل الناس للناس هاديا
لما كان بعض الناس للناس ماحيا
لكن اجمل ما في القصيدة لم يأت بعد. ان احوال الحرب ودماء الناس والعمران لم تنس الشاعر المغترب وطنه وبلده، فما ان يدوروا بخلده حتى يغص بريقه ويترك فؤاده نهبا للذكريات والاشواق والاحلام، فيقول:

لقد ضاق صدري عن احاديث لم اجد
سواك اليها في البرية صاغيا
احاديث ايام خلفن بلا ضحي
فمرت طوا الاكلهن ليلاليا
احاديث او طاني واهلي وعترتي
وابناء نوعي ثم نفسي وماليا
احاديث ارض ما رضىت بغيرها
مقبلا ولا عن اهلهما كنت ساليا
عرفت الهوى فيها وعانقت ظلها
وقضيت او وطاري بها وشبابيا
احاديث عن وادي الفرات ودجلة
ومن ذا راى - قل لي - كدجلة واديا؟
نسيم الصبا ما هب في جنباته
رايت نعيما في الجوانب جاريا
ومن ذا الذي ينسى الرصافة والمها

مير بصري



لم يعرف عن فهemi المدرس انه كان شاعرا، لكن عثرنا له على قصيدة عصماء بلغ عدد ابياتها نحو من ١٢٠ بيتا، وقد رثى بها صديقه الاديب التركي محمد سامي بك سليمان المعروف باسم "سليمان نسيب".



وكان محمد سامي بك المولود في الاستانة سنة ١٨٥٧ نجل القائد العثماني الشهير سليمان باشا المشهور في حرب روسية (١٨٧٧)، ثم نفاه السلطان عبد الحميد الثاني الى بغداد، وفيها نشأ ابنه الاديب الشاعر واصبح فيما بعد مديرا لمعارفها. وعاد سليمان نسيب الى تركيا فتقلد مناصب عالية حتى كان مديرا عاما لجامعة استانبول المعروفة باسم دار الفنون، وتوفي سنة ١٩١٧. وقد جمع اصدقاؤه طائفة طيبة من شعره ونثره في كتاب طبع في العاصمة التركية سنة ١٩١٨ باسم "سليمان نسيب" ادبي وفكري حياتي والحقت به المرثية التي قبلت فيه، وهي كثيرة ساهم فيها اكثر ادباء التركية اذالك، ومنهم محمود صبحي الذفرتي (الذي رايت نسخة من الكتاب لديه) و ابراهيم الحيدري وغيرهما.

ضمت تلك المجموعة الطريفة قصيدتين عربيتين في رثاء الاديب التركي، اولاهما المعروف الرصافي نائب المنتفق في مجلس المبعوثين، ومطلعها:

ابكي بك الموت عين العلم والادب
يا سامي النفس والاخلاق والرتب.
قد كان متعاقبا ان سمعا به
كضربة السيف في قلبي وفي عصبى
ولم تنتشر هذه المرثية في ديوان الرصافي المطبوع سنة ١٩٤٩. اما القصيدة الثانية فطويلة لفهemi المدرس استهلها بذكر حكمة الموت فقال:
هو الموت لا يبقى من الناس باقيا
وما ان ارى حبا له اله وافي
فذاك سليمان ونوح و آدم
واحمد كل جاءه الموت داعيا
ويمضي المدرس في شعره فيذكر الحرب المدمرة التي كانت تحرق العالم بشواظها القاتل، ويقول مخاطبا صديقه الراحل:

ولما رايت الناس ضلت عقولهم
وكلا بهذا القرن اصبح باغيا
وان دماء الناس شرقا ومغربا
تراق بلا اثم ولم تر ناهيا
ولم تر من تلك العلوم زواجرا
ولا من دعاة الحق للحق داعيا
ولا الموت يتنيمهم، ولا الدين حاجز،
ولا صارم غضب يرب الدواهيا
وضاق على المرء القضاء فلم يجد
له مهربا كيما يعيش مصافيا

من اوراق الراحل نجيب محيي الدين فهمي المدرس وجامعة آل البيت في العشرينيات



هناك من يرى ان تعثر سير الدراسة وما اثير حولها من خلافات بين المسؤولين وما ألت اليه الجامعة من مصير لم تكن بمنأى عن اهداف وصراعات سياسية وشخصية. فيذكر الاستاذ حسن الدجيلي في مقدمة كتابه (تقدم التعليم في العراق) بان المرحوم فهمي المدرس كان يطمح للسيطرة على جهاز التعليم العالي فيجمع حواليه عددا من المثقفين والمريدين يستعين بهم لتحقيق طموحه السياسي والاجتماعي في اشغال منصب وزير المعارف".



ولكنه يستدرك بعد ذلك فيقول: "كما حدثني احد الثقات" دون ان يذكر الاسم.. بينما يرى باحثون آخرون غير ذلك في شخصية الاستاذ فهمي المدرس فانه "قد افرغ وسعه واستنفد جهده في سبيل ارسال الجامعة على مناهج علمية رصينة تستمد اتجاهاتها من ينابيع الثقافة الاسلامية، فخطط للجامعة دروسا علمية ممتازة واختار لها اساتذة فضلاء.. وقد عارض هذا الاتجاه الاسلامي الذي كان يرغب المدرس ان يجعله الطابع المميز للجامعة نفر من رجال السياسة والتربية كانوا يريدون وجوب الفصل بين التعليم والدين، وقد كان على رأس هذا الاتجاه نوري السعيد وفاضل الجمالي وساطع الحصري، فوضعت العراقيل في سبيل الجامعة منذ بدايتها الى ان تم اغلاقها".

اما الاستاذ فهمي المدرس فقد رمي مسؤولية

فشل الجامعة واغلاقها على سياسة وزارة الاوقاف وما يحمله شيوخها من الافكار الدينية التقليدية والمحافظة كما ذكر سابقا، بالإضافة الى موقف الاستاذ الحصري منها، وقد بين ذلك في جريدة العالم العربي في مقالة له بعد قرار سد الشعبة الدينية جاء فيه: "ليس لذلك السد ولذالك الاغلاق سبب سياسي ولا سبب اداري ولا سبب مالي". وبعد ان يشرح هذه الامور يقول: "ان السبب هو ساطع الحصري لانه لا يروق له تشكيل الجامعة ما لم يكن هو امينا لها، وربما لانه يريد ان يوجه الشبان الى الجامعة الامريكية".

ان فكرة ومحاولة انشاء جامعة عراقية في عام ١٩٢٢م تمثل مبادرة تعبر عن مشاعر وطنية وثقافية وجديرة بالتقدير بالرغم من فشل مشروعها، ان ضلت هذه الفكرة تشكل طموحا يراود امال الوطنيين والمثقفين العراقيين، فجرت في عام ١٩٣٦م معاودة لمحاولة ثانية لانشاء جامعة وطنية من قبل وزارة المعارف التي كان وزيرها المرحوم الاستاذ صادق البصام، إلا انها اخفقت لأسباب مالية وسياسية. وتكررت المحاولة حال انتهاء الحرب العالمية الثانية من قبل وزارة المعارف وتبنتها سياسات الحكومات المتعاقبة وتحقق لها ذلك بتأسيس جامعة بغداد في عام ١٩٥٧م. ان محاولة انشاء "جامعة آل البيت" في عام ١٩٢٢م - اي قبل ما يقرب من تسعين عاما. كانت سابقة لأوانها، حيث لم تكن الشروط اللازمة لجاها متوفرة انذاك بسبب الظروف الصعبة التي كانت تواجهها البلاد السياسية

والاقتصادية والثقافية والتي اشرنا اليها في المقدمة حين كانت الامية سائدة بين السكان وحيث كان انتشار التعليم الابتدائي محدودا واقل منه انتشارا كان التعليم الثانوي الذي يؤهل خريجه للتعليم العالي.

كان مجديا لو توجه الاهتمام والعمل على اصلاح التعليم الديني في الشعبة الدينية العالية في هذه المؤسسة الوليدة التي سميت بـ "جامعة آل البيت" على وفق رؤية الملك فيصل الأول واهدافه للتقريب بين المذاهب الاسلامية السائدة في العراق وعلى وفق الاتجاهات الدينية الاصلاحية التنويرية للاستاذ فهمي المدرس الهادفة - كما كان يدعو لها لاعداد رجال دين يمتلكون ثقافة دينية بعيدة عن التعصب المذهبي الى جانب "ثقافة عصرية تجعلهم منفتحين فكريا ويتطلعون الى صلاح مجتمعهم وتقدمه ويدعون الى ذلك.

ولم يكن في كل هذا من تناقض.

يلاحظ ان اهتمام الملك فيصل الاول بشؤون الجامعة وحتى بشؤون الشعبة الدينية الذي كان داعيا و متحمسا وساعيا لها، قد فخت او تلاشى بعد مدة من الزمن من انشاء الجامعة، ان آخر كتاب للديوان الملكي كان قد صدر في ٢٥ شباط / ١٩٢٤م متضمنا ملاحظات الملك حول النظام المقترح للجامعة التي ذكرت سابقا، ولم اعثر على اي كتاب او إشارة لموقف الملك ازاء الخلافات التي نشبت بين ادارة الجامعة وبين كل من وزارة الاوقاف ووزارة المعارف، ويبدو ان الملك قد نأى بنفسه عنها، او انه قد اقتنع بوجهة نظر وزارة المعارف

التي يمثلها الاستاذ ساطع الحصري المتمثلة بالتوجه لمكافحة الامية والعمل على نشر التعليم ورفع مستواه في المراحل الدراسية الابتدائية والثانوية والاقتصار على ارسال البعثات من الطلاب الى الجامعات الاجنبية في ذلك الوقت حتى يحين الوقت المناسب لتأسيس الجامعة وتنتهي لها الظروف والشروط اللازمة لنجاحها. والملك بموقفه هذا قد تجنب الخلاف ايضا مع مشايخ وزارة الاوقاف الذين لم يكونوا موافقين على سياسة الاستاذ المدرس وأرائه ازاء ما يجب ان تكون عليه اتجاهات التعليم الديني المتسمة بالانفتاح والتنوع والابتعاد عن التعصب الفكري والديني.

اشار بعض الذين عاصروا تلك الفترة بما كتبوه في الصحف والذين تابعوها بعد ذلك الى أن ما جرى حول مسيرة الجامعة لم يكن بمنأى عن الصراعات السياسية والشخصية مستنديا على ذلك بالتركز حتى بافتتاح الشعبة الدينية وعدم التوجه لتعيين اساتذة كفاة بعلوم الدين والاستعانة بذلك من رجال الدين المعروفين بقدراتهم وعزارة علمهم وفضائلهم ومحاولة عرقلة جهود الاستاذ المدرس وعدم الالتفات الى وجهات نظره، وفي تقديري انه قد يكون ذلك وارداً إلا انها لم تكن لتؤدي الى فشل المحاولة الذي ألت اليه فكرة الجامعة والكلية الدينية لو كان التأسيس صحيحا وتوفرت الظروف الموضوعية اللازمة لنجاحها كما بينت سابقا.

عن كراس (جامعة آل البيت) ٢٠١٢

فهمني المدرس.. الخدمة الوطنية الصادقة

اعداد: رشيد الرماحي



من المع الكتاب السياسيين العراقيين الذين برزوا في الميدان السياسي منذ اعلان الدستور العثماني والى ما بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية. كما كان اول رئيس للامناء في بلاط الملك فيصل الاول الذي فجر الصراع بين الحكم الاهلي في بداية تاسيسه مطلع العشرينات، وبين القوى الوطنية التي كانت تدعو لاستقلال ناجر بعيد عن الهيمنة الاستعمارية البريطانية.. ومن الغريب ان ذكرى وفاته هذا العام تصادف نفس اليوم الذي رحل فيه الى رحاب الله كما ترويه شاهدة القبر الرابض في مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني فتقول (هو الباقي انتقل الى جوار ربه المغفور له امين جامعة آل البيت سابقا الاستاذ الكبير فهمني بك المدرس وذلك ليلة الاثنين ٤ آب ١٩٤٤ الموافق ٢٤ شعبان سنة ١٣٦٣ هـ الى روحه الفاتحة).



ولعل السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا هذا الملف عن فهمني المدرس ان التعريف بفهمي المدرس للجبل الجديد، وتقييم دوره بعد مرور ٣٤ سنة على وفاته، ينطوي على مغزى تقدير الرجال الذين خدموا الحركة الوطنية بصدق، وساهموا في هذا الميدان مساهمة جادة ومخلصة تستحق الثناء والتقدير.

والمدرس واحد من هؤلاء لعب دوره في مختلف المواقع التي شغها كاول رئيس لامناء البلاط الملكي في مطلع العشرينات او عندما ترأس جامعة ال البيت او يوم ترك الوظائف وانضم الى الحزب الوطني بقيادة جعفر جلبي ابو التمن وجرده قلمه بهاجم الانتداب البريطاني ويكشف النقاب عما ينطوي عليه من غمط لحقوق الشعب.. لهذه الاسباب، ولاسباب اخرى يكون

الرجل جديرا بان نهتم بذكراه ونسعى للتعريف به للجبل الجديد ونقيم دوره قدر المستطاع!

مثقف العشرينات:

× وما دمنا في بداية الحديث عن فهمني المدرس، لا بد ان نتساءل عن سر اختياره اول رئيس لامناء بلاط الملك فيصل الاول، وكيف تطور الخلاف بينه وبين الملك حتى كادت تحدث أزمة سياسية عراقية بريطانية بسببه!

مجلس المدرس

× من المميزات التي كان يتحلى بها المدرس لباقتة في الحديث مما ابرز شخصيته في الاندية والمجالس التي كان يحضرها فيأخذ الحاضرين بأسلوبه وما يتخلله من طرف وملح، وما يعززه من روايات يستقيها سواء من التاريخ القديم ام الحديث، لذلك كان مجلسه سواء في داره القديمة التي كانت تقع في محلة الصابونجية) ام الحديثة في الاعظمية عندما انتقل اليها واخر حياته، يزدهم بالزوار على اختلاف الوانهم وافكارهم يصغون الى احاديثه ونوادره باهتمام يضيف عليها من خفة دمه وتهكمه المرير وسخريته مما يشوق الحضور على متابعتها، وكثيرا ما كان المدرس يستعين بالاشارة الى تصوير الوقائع التي يتحدث بها. فيشير بيديه تارة، ويومئ برأسه تارة اخرى وكأنه يمثل الوقائع التي يسردها.

× ويذكر العلامة محمد بهجة الاثري بهذا الصدد: - كان اول لقاءني بالمرحوم فهمني المدرس يرجع الى سنة ١٩١١ في البلاط حسين قصده حاملا من استاذي الشريف محمود شكري الالوسي مذكرة الى الملك فيصل تتضمن اراءه في اصلاح الاوقاف ومنذ ذلك الوقت بدأت صداقتي معه، وفي سنة ١٩٣٠ ابان اشتداد المعارضة ضد المعاهدة البريطانية التي فرضها الانكليز على العراق في عهد وزارة نوري السعيد الاولى، كنت ازوره مع جملة من يزوره من المعارضين في داره وفي طليعتهم ياسين الهاشمي. وكنت قبيل ذلك ازوره احبانا في ايام الصيف في حديقة داره بالاغظمية، كما التقى به في دار الزعيم التونسي

عبد العزيز الثعالبي وكانت ندوة الاخير من اروع الندوات التي شهدتها بغداد طوال اقامته فيها وكان يحضر هذه الندوات ياسين وطه الهاشمي ورستم حيدر وفهمي المدرس ومعرف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي وعطا الخطيب وطه الراوي ومخير القاضي وغيرهم من ساسة البلد وعلمائه وادبائه. وكان الاستاذ المدرس على صلة وثيقة جدا بالثعالبي، كلاهما كان من رجال الفكر والسياسة وكانا على جانب عظيم من ادب النفس وبراعة الحديث وسمو الذوق وجمال الشارة.

وبشر المؤمنين

× عندما اندلعت حركة مايس عام ١٩٤١ كان المدرس شيخا كبير السن، ولكن عندما هب الشعب في هذه الفترة فنض عنه رداء الشيخوخة وتقمص روح الشباب فخطب خطبته المشهورة التي اذيعت من راديو بغداد حمل فيها على السفير البريطاني السير كورانس واليس حملة شعواء وجاء في خطبته (ايها الشباب المتحفز الى المجد الباخ، ويا اباة الضيم.. العدو يجوس خلال الديار، ويطا باقدامة القدرة تربة اباكم الطاهرة، وان ارواح اجدادكم العظام تحف بكم حاملة صحائف تاريخكم المجيد ترتل آيات ذلك الماضي المحفوف بالسؤد والشرف الرفيع، وان اجنحة ملائكة المقربين ترترف فوق رؤوسكم صارخة (وبشر المؤمنين يا محمد) فذبوا عن اوطانكم واعراضكم ومقدساتكم واستعداد الناس في تلك الفترة مقالات فهمني المدرس وكتاباته التي كانت تهز العرش والاستعمار البريطاني.

رائد كبير!

× ولكن ما هو دور المدرس في الصحافة العراقية واثره عليها؟ يقول الزميل عبد القادر البراك: - لايسع الباح في تاريخ الصحافة العراقية ان يغفل او يتغافل دور الكاتب الكبير الاستاذ فهمني المدرس في اقامة اركانها والاسهام برفع مستواها في الشكل والمحتوى والمضمون رغم قلة الادوات وفقدان الجو الطبيعي الصحي الذي تزدهر الصحافة فيه، فالاستاذ المدرس خلال توليه

التنظير والتحرير

× على ان المدرس كان في (التنظير) اقوى منه في (التحرير) لان الاول من مؤهلات المفكر الجالس في حين كان التحرير من مهمة المحترف والهاوي الذي يرباط في المطبعة والادارة ويتكلف الاعباء المالية بكل اشكالها. وقد تجلت قابليته في (التنظير) من خلال توجهاته لرواد مجلسه في بيته بالصابونجية وفي حديثه بالاغظمية كما ان توجهاته الوطنية واندفاعاته الثورية كانت تستحوذ على مقالات بعض من كارتاد ندوته من كتاب ذلك الجبل وفي مقالات المعارضة والتنديد بالحكم الاستعماري والسياسة البريطانية وحكام العهد الملكي المباد.

رحلة فهمني المدرس!

× وعلى ذكر مقالات فهمني المدرس التي اشار اليها الزميل البراك، فقد صدر قبل فترة الجزء الثالث من مقالات المدرس للسيد عبد الحميد الرشودي وخالد محسن اسماعيل ورغم جهودهما المشكورة في الجمع والتقديم والتعليق، الا ان الكتاب جاء خاليا من دراسة المدرس نفسه.. × وكتب السيد خالد محسن اسماعيل يقول:



الديانات القديمة موجزة لا تفي بالغرض، لذا استدعى الطالب (كمال ابراهيم) وقدم له هذا البحث وطلب اليه ان يستنسخه لم يقدمه الى زملائه الطلبة ليقوموا باستنساخه من غير علم المرحوم طه الهاشمي، و (بيان موجز عن جامعة الى البيت والشعبة العالية الدينية) في دورين من حياتها، دور التأسيس ودور الجهاد العلمي ويقع في ٥٦ صفحة من القطع الكبير وقد طبع في مطبعة الاداب ببغداد سنة ١٩٣٠ واخيرا الجزء الثالث من مقالات فهمي المدرس ويضم المقالات التي حورها بعد نشر الجزئين الاول والثاني وقد كان لي شرف المساهمة مع الصديق الاستاذ خالد محسن اسماعيل في جمعه واعادته للنشر.

رجل توائي

× وبعد ماذا يمكن ان يقال عن فهمي المدرس، وقد حاولنا ان نلم سرعيا بجوانب خفية من حياته لقد كان المدرس من اوائل المثقفين العراقيين الذين اعتنوا بالتراث العربي الاسلامي، فكان يعلق صورة تمثل الرياسة العربية في داره الى جانب اللوحات الفنية يوم لم تكن بغداد في تلك الفترة تعنى بهذه الامور، وكان رجلا متحضرا ومتحدثا بتذوق الفن ويتحسس جماله، وقد عرف عنه عنايته بالاوراد واهتمامه بها وقد قيل انه كان يستورها من الخارج ويطرز بها حديقته وصالونه، وهو مولع بالجمال الذي كان ينعكس على شخصيته بحيث يظهر على حديثه عندما يختار الكلمات ويبتقي العبارات كما يبرز ذلك على زيه وهندامه ايضا وكان يعنى بالقطط ويسعى لتوفير الراحة لها وتقديم الطعام اليها بنفسه ولا يرضى ان يمسه احد بسوء وكثيرا ما كان يغضب اذا تجاهل احد في داره تقديم الطعام لاعز شيء عنده.. القلط...!!
ملف نشرته مجلة (الف باء) عام ١٩٧٨ من اعداد: رشيد الرمحي

الحديثة؟

× نعود الى فهمي المدرس فنقول: لما لم تكن اللغة العربية عنده هي الوسيلة الوحيدة للتعبير فهو يتقن الى جانبها التركية والفارسية والفرنسية لذا وجدنا اثاره موزعة بين اللغتين العربية والتركية خصوصا في المصدر الاول من حياته حين كانت التركية لغة الحاكم والوظيفة والجامعة وقد وجدنا مؤلفاته باللغة التركية تشمل ما كتبه في العهد العثماني وهي (تاريخ ادبيات عربية) - الجزء الاول - وقد خصصه بالادب العربي في العصر الجاهلي وهو مجموعة المحاضرات التي حاضر بها طلاب دار الفنون في الاستانة بعيد الانقلاب العثماني، ويقع هذا السفر في الف صفحة وكان منهجه في التاليف ان يذكر النص الشعري او النثري باللغة العربية ثم يشفعه بشروح وتعليقات باللغة التركية. وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة القاهرة وهي المطبعة الخاصة بجامعة الاستانة، ويأتي بعده كتاب (حكمت حقوق اسلامية) وهو مجموع محاضراته في تاريخ التشريع الاسلامي، ثم مقالاته في الصحف التركية التي توزعت على قراء (شهبال) و(ثروت فنون) و(جريدة بغداد) لسان حزب الاتحاد والتقي، اما القسم الثاني فهي مؤلفاته باللغة العربية وتشمل مقالاته في الصحف العراقية والعربية ومحاضراته في جامعة آل البيت موزعة على مقالاته في السياسة والاجتماع والتاريخ، ومحاضراته في جامعة آل البيت تشمل (فلسفة الموارث في الاسلام) وتقع في ستين صفحة وقد حاضر بها طلبة الصف المتقدم ونشر طرفا منها في مجلة الاقلام البغدادية لصاحبها علي ظريف الاعظمي (سنة ١٩٢٨) و(بحث في الديانة الزرادشتية) وكان المرحوم طه الهاشمي يحاضر طلاب جامعة آل البيت في موضوع تاريخ الاديان، وقد وجد المدرس ان محاضرات الهاشمي في تاريخ

ابراهيم وغيرهم.

× ويبقى سؤال: لم لم يكتب عن فهمي المدرس نفسه؟
اننا نؤمن ضرورة حصر اثار الاعلام والكتاب ونشرها قبل الاقدام على دراستهم لان الكتابة مسؤولية وهي بمثابة اصدار حكم في قضية خطيرة، وقبل اصدار الحكم لابد ان نقف على اوليات قضية كهذه وهي تتعلق باثار ذلك العالم متمثلة بافكاره وكتابات ومواقفه وسلوكه، لذلك بدأنا باستكمال اثار فهمي المدرس لنضع امام الباحثين في تاريخ العراق الحديث. وفي فهمي المدرس نفسه مادة متكاملة تقوم على الامانة والموضوعية، فاذا اسفنا الى كل هذا ان المدرس كان محجوبا عن امته، بتخطيط مدروس، كان لابد من اختراق ذاك الحجاب ليعود الوجه النظيف وليحتل مكانه الطبيعي، لهذا كله بدأنا بنشر اجزاء لثالث الذي يكمل اثار فهمي المدرس، اما دراسة الجوانب السياسية او الثقافية من تاريخه فكننا نقدر انها ستكون انذاك سهلة ميسورة وهذا ما تحقق فعلا لكثير من الباحثين.

آثار فهمي المدرس!

× هناك حقيقة خرى يشير اليها السيد عبد الحميد الرشودي، وهي تناقض ما اوضحه الزميل البراك ايضا عن اثار فهمي المدرس القمية، ففي الوقت الذي يؤكد البراك ان اثار المدرس كثيرة يوضح لنا الرشودي انها نزره قليلة لا تتناسب وشهرته الواسعة وثقافته العالية ويقول:
ان ذلك ليس بدعا فان جل الاساتذة المربين ودعاة الإصلاح في نهضتنا يشاركون المدرس في قلة الانتاج ولعل مرد ذلك يقود الى انهم كانوا يفرغون لطلابهم ومريديهم فراغا يذهلهم احيانا عن ذوات انفسهم وخاصة امورهم والافيم تفسر نذرة او نزره مؤلفات الافغاني ومحمد عبده والكواكبي واديب اسحاق وغيرهم من اعلام النهضة العربية

- في كانون اول من عام ١٩٦٤ صدر الجزء الرابع من السنة الاولى من مجلة (الاقلام) وفيها مقال للاستاذ خيرى العمري عن (فهمي المدرس) ووجدت فيه ما طبقه الاستعمار في العراق على فهمي المدرس منذ تاسيس الحكم الاهلي في اب ١٩٢١ حتى وفاته رحمه الله في اب ١٩٤٤ حين اختير رئيسا للامناء في البلاط الملكي تحرك الانكليز وانباههم فابعده عن هذا المنصب وحين عهد اليه تاسيس جامعة آل البيت هبت كل القوى الخفية للقضاء على المدرس ومشروعه، ولم تستكت حتى اجهزت على الجامعة وامينها.. وحين اختير مديرا عاما للمعارف لم يبق فيها اكثر من اثني عشر يوما.. لقد كانت قضية (فهمي المدرس) المثل الطبيعي لاساليب الاستعمار البريطاني ضد رجال العراق. وهنا سارعت الى اخي الاستاذ عبد الحميد الرشودي اعرض عليه مشروع جمع كتابات المدرس المنشورة في الصحف العراقية مما لم يضمه الجزء ان الاول والثاني من مقالاته المطبوعة في حياته سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٣٢. ومن هنا بدأنا معا رحلة فهمي المدرس. فالمدى الذي امتدت اليه مقالات المدرس تجاوز الاربعين سنة ومجاميع الصحف لم تكن كاملة في موضع واحد، ومقالاته كانت طويلة بنواقيع عدة، كل هذا صحيح الا ان حينا للرجل وحرصنا على انقاذ اثاره من الضياع جعلنا نحرث الصحافة العراقية حرثا، فاستقامت لنا مجموعة من مقالات المدرس زادت على ما نشر في الجزئين وكنا خلال ذلك نتصل باصحاب المدرس ومعارفه وتلاميذه، نتسقط معالم فهمي المدرس: نضم الخبر الى الخبر ونرد الحادثة الى اسبابها، لتتكامل صورة هذه الشخصية الكبيرة، ولا ننسى ما قدمه لنا الاساتذة: محمد بهجة الاثري، خيرى العمري، مهدي الرحال والمرحومون: ناجي القشطيني، ناصر الدين الكيلاني، عباس الأزوي، عبد الاله حافظ وكمال

كيف عُزل فهمي المدرس عن أمانة التشريفات الملكية؟

رفعة عبد الرزاق محمد



من الأحداث المثيرة والخطيرة التي مرت بالعراق في بدء تأسيس دولته الجديدة حادثة عزل فهمي المدرس عن أمانة البلاط الملكي سنة ١٩٢٢ إثر تظاهرة بيوم التتويج. إن الشواهد التي أذكرها هنا تؤكد أن المدرس - رحمه الله - لم يخطب أية خطبة يومذاك، وإن عملية فصله كانت مؤامرة محاكاة ضد الوطنيين المقربين من الملك فيصل الأول،



ولعل الحاشية المحيطة بالملك كانت تخشى أي صوت عراقي وطني مقرب للملك وتلصق به التهم المختلفة لإيغار صدر الملك ضده أو التنسيق مع (دائرة المندوب السامي) لتصفيته.

والحقيقة أن الذي أثار الالتباس هو أمين الريحاني الذي روى في كتابه عن الملك فيصل الأول (ص ١١٥ - ١١٦، ط ٢) أن الملك بعث رئيس أمناء البلاط - يقصد المدرس - ليقابل الوفد ويجيب الخطيب بكلمة شكر تناسب المقام، ولكن الرئيس وهو يسمع حماس الجماهير، ذهل ونسى مقامه الرسمي واشتعلت فيه الحمية والحماسة، فراح في جوابه يحاربه في مضمير السياسة والوطنية فتفهد له الجمهور أضعف هتافهم لخطيب الوفد، وبينما هو يخطب وصل المندوب السامي السرس برسي كوكس لتهنئة الملك، وكان واجب رئيس الأمناء أن يستقبل المهني، فختم خطبته بكلمة من نار فصاح آنذاك الناس قائلين: ليسقط الانتداب ليسقط البريطانيون،

ويقول الريحاني، إن هذا الحادث زاد في الام الملك فكتب الى كوكس يفصح عن أسفه الشديد. ثم أقال رئيس الأمناء من وظيفته.

هذه هي الرواية التي ذكرها الرحاني حول قضية فصل المدرس، وملخص الحادثة كما يصفها شاهد عيان، وأحد الثقات، هو المرحوم الدكتور محمد مهدي البصير في كتابه (تاريخ القضية العراقية، ج ٢ ص ٤١) والتي استمر في تأكيدها في مناسبات لاحقة، هي أنه لما حلت الذكرى الأولى ليوم تتويج الملك فيصل في ٢٣ آب ١٩٢٢، استغلقت قيادة الحزب الوطني العراقي هذه المناسبة فقامت بتظاهرة الى البلاط الملكي، وبعد تهنئة الملك من قبل القيادة تقدم جعفر أبو التمن وأخبر الملك أن الحزب يرغب في إلقاء كلمة وطلب من الملك أن يأمر أحد رجاله ليحضر بالنيابة عنه للإشراف على الجمهور وسماع الخطاب، فندب الملك كبير أمنائه فهمي المدرس لذلك.

وكانت اللجنة التنفيذية للحزب الوطني قد اتفقت مع حزب النهضة على أن يعهد الى محمد مهدي البصير لإلقاء الخطاب من على شرفة بناية (المشيرية) في القشلة والتي اتخذت بلاطاً ملكياً، وألقى البصير الخطاب على الجماهير المحتشدة في ساحة المشيرية (أريت الخطاب كاملاً في جريدة المفيد ليوم ٢٥ آب ١٩٢٢).. وفي هذه الأثناء قدم المندوب السامي الى البلاط لتقديم التهنئة، فلما وصلت سيارته الى مكان التجمع لشعبي لم تستطع سيارته اجتياز الجماهير إلا بصعوبة، واثناء سير كوكس الى مكان الملك، ارتفع صوت بين الجماهير ودوت بعده عاصفة من التصفيق والهتاف، وعلم فيما بعد أن الصوت

كان ينادي بسقوط الانتداب البريطاني. ويقول البصير إن الصوت أثار استياء اعضاء حزبي الوطني والنهضة لعلهم أن كوكس سوف يستغل ذلك.

ومن هذه الرواية نجد أن المدرس لم يكن سوى مستمع لخطاب البصير بتكليف من الملك. ويقول البصير في مكان آخر، أن المدرس لم يفه بكلمة واحدة في ذلك الموقف، وإن كل ما فعله هو الاستماع لخطابه وخطاب المرحوم محمد كبة خطيب حزب النهضة، وإن ما نسبته الريحاني الى المدرس هو من قبيل الزور والبهتان (سوانح ج ٢ ص ١٨١). وفي مقابلة مع البصير أجرتها مجلة ألف باء (١٠ كانون الثاني ١٩٧٣) يضيف البصير قائلاً:

"... والحق أنني أقيت خطبتي دون أن اهتف بحياة الملك وعندما انتهت، همس لي المدرس بأن اهتف فهتفت ولم يلق هو أية خطبة". ويبدو أن هذا ما قصده المرحوم توفيق سعيد الدمولجي مرافق الملك في حديثه مع الأستاذ حارث طه الراوي، من أن المدرس لم يتجاوز مقتضيات الموقف الرسمي.

ومن الشهادات الخطيرة شهادة الأستاذ سامي خوند، الذي يذكر أن المدرس كان ينصت الى الخطيب باهتمام عندما دخل كوكس الى ساحة البلاط وتعالي الهتافات ضد الانتداب البريطاني، وإن الذي هتف ضد الانتداب وأثار الجماهير هو حسون أبو الجين. ويذكر خوند، أنه اتصل بأبي الجين بعد سنوات وعرف منه أنه كان يجهل نتيجة عمله وقد أعلن أمامه أن جهات رسمية طلبت منه أن يهتف حال وصول كوكس فقبل من

دون تردد!!.

وقد تبين فيما بعد أن كل ما يدبر ويحاك في البلاط من مؤامرات ضد الشخصيات الوطنية كان يقوم بها أحد حاشية الملك ومن رجال رستم حيدر، وهو أمين الكسباني. وقد أشار إليه غير واحد من الذين نثق برواياتهم، على أن المدرس بعد عزله، ظلت الأنظار ترنو إليه لما امتاز به من إخلاص ونزاهة.

ولما اتجهت الرغبة الى إنشاء جامعة آل البيت، اختير المدرس رئيساً لها سنة ١٩٢٤ حتى يوم إلغائها على يد نوري السعيد سنة ١٩٣٠ بحجة ضيق الميزانية، وبعدها تقلد مديرية المعارف العامة، لكنه أثر الاستقالة والانصراف الى ميدان الصحافة السياسية كما هو معروف في سيرته الالامعة.

والأخطر من كل ما ذكرناه أعلاه، الوثائق البريطانية التي تتيح للباحث فرصة طيبة لتقصي الحوادث ومعرفة الوجه الرسمي للموضوع. لاسيما وأن دائرة المندوب السامي هي أحد اطراف قضيتنا.. وأود أن أذكر أن (المس بيل) السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي آنذاك، تقول في رسائلها (رسائل المس بيل - ص ٦٤٨) إنها كانت مرافقة كوكس في زيارته للملك، وإنها قد وصلت الى البلاط وكانت ساحته غاصة بالناس وحوالي ثلاثمائة أو أربعمائة يقفون تحت السلم، وبينما كان كوكس يرتقي السلم انطلق صوت بين الحشد لم يتبين معناه واعقبته موجة من التصفيق وتقرر (الخاتون) أن التظاهرة كانت مدبرة لتحدث في الوقت المحدد لاستقبال كوكس.

كما يذكر التقرير البريطاني عن أحوال العراق لسنة (١٩٢٢ - ١٩٢٣ ص ١٨) أن القادة الوطنيين طولوا مقابلتهم للملك الى وقت وصول المندوب السامي حتى يؤكدوا له أنهم حاضرون. وفي اليوم التالي أرسل المندوب السامي إنذاراً شديد اللهجة الى رئيس الديوان الملكي، يحتج فيه بعنف على ما لقيه من معاملة يوم التتويج ويطلب منه الاعتذار وعزل فهمي المدرس، إذ كان هو المسؤول رسمياً ويطلب بياناً بالإجراءات التي ينوي الملك اتخاذها ضد المواطنين.

وأوعز فيصل الى سكرتيره رستم حيدر، أن يرد على الإنذار البريطاني، فأرسل كتاباً الى المندوب السامي أعرب فيه عن التأثر الشديد الذي أصاب الملك والتأكيد له بأن الملك سيعمل كل ما هو ضروري.

نص الإنذار الذي بعثه المندوب السامي الى الملك إثر الحادثة:

"سعادة رئيس الديوان الملكي المحترم نرجو أن تخبروا جلالة الملك، بأن فخامة المعتمد يحتج بعنف ضد ما لقيه من المعاملة في وقت كان فخامته يمثل حكومة ملك بريطانيا العظمى، ماراً بباب غرفة الاستقبال، ليؤدي مراسيم التبريك، وإن فخامته أخبر لندن عن هذه الحادثة، ويطلب أن يعتذر إليه، وإن يعزل فهمي أفندي المدرس، إذ كان هو المسؤول رسمياً، ويطلب فخامته بياناً عن الإجراءات التي ينوي جلالة الملك اتخاذها ضد الخطيبين اللذين حرقا مقام الملك بإلقائهما خطبة مهيجة".

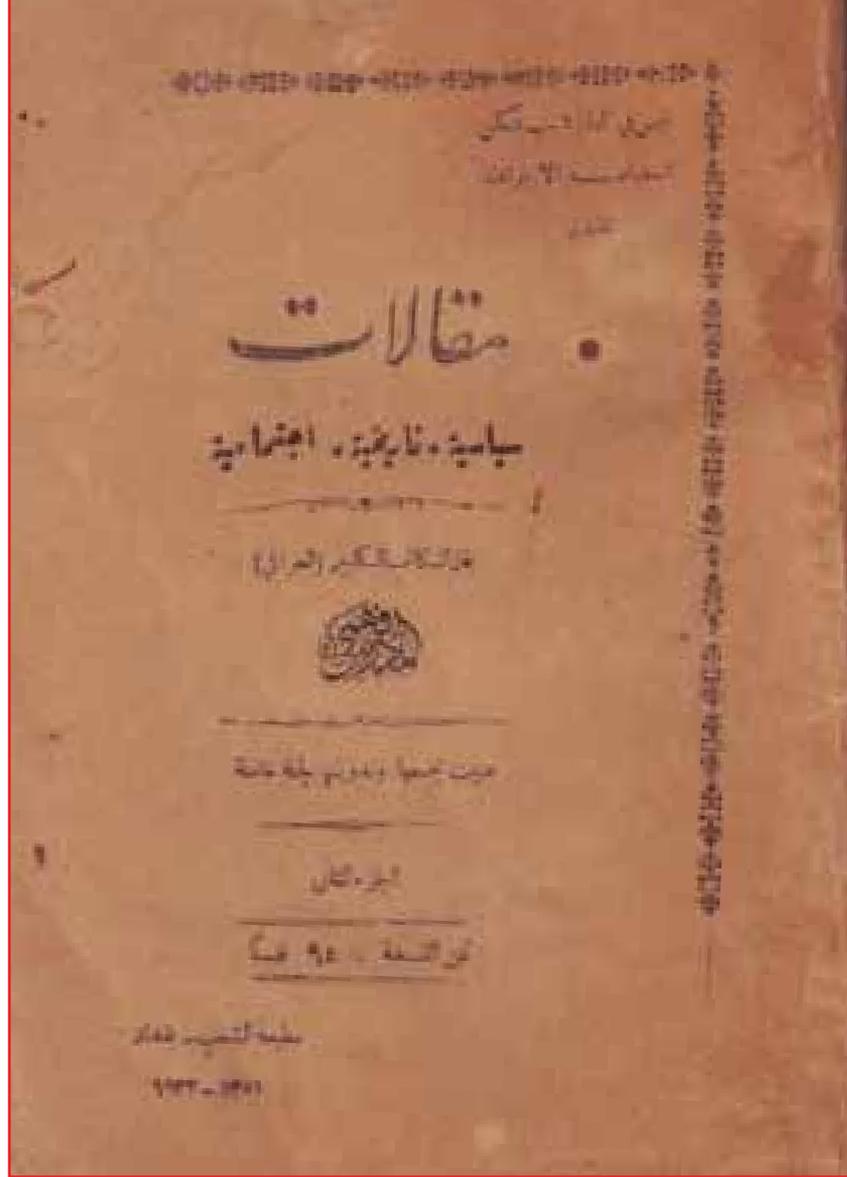
٢٤ اوكست ١٩٢٢

بيرسي

العراق ٢٠ / ١١ / ١٩٨٥

قراءة في السيرة الشخصية لرائد كتابة المقالة في العراق

عبدالرزاق خلف الطائي



يعد فهامي المدرس واحدا من ابرز رجال النهضة العربية والفكر العربي الحديث. حسب رؤية الأستاذ يوسف عز الدين الذي خصه بمجلد كبير عن حياته وتفكيره. كما يقف في طليعة كتاب المقالة في العراق وقبل التطرق الى السيرة الشخصية والوقوف عند ابرز المحطات التي مرت في حياة المدرس. ولد فهامي المدرس سنة ١٨٧٣ في بغداد من أسرة مثقفة فأبوه القاضي الشرعي الشيخ عبد الرحمن بن سليم بن محمد بن أحمد بن الشيخ سليمان الخزرجي الشهير بالمدرس. وكان الشيخ سليمان قد قدم بغداد من الموصل واتخذها مسكنا. نشأ المدرس في بغداد وتعلم على يد إمام عصره فقد ذكر انه درس عند عبدالسلام وبهاء الحق وعبدالرحمن القره طاغي واسماعيل الموصللي ومحمود شكري الأوسي وغيرهم. كما درس الخط والتجويد على يد اخيه جميل المدرس.

وقد عرف عن فهامي المدرس جودة في الإنشاء والكتابة والخط وعند بلوغه ٢١ من العمر درس وخطب في المساجد وقام بشرح آيات القرآن الكريم في جامع الوزير. وفي هذه الفترة عين الأستاذ المدرس مديرا لمطبعة الولاية في بغداد مع تحرير قسمي التركي والعربي في جريدة الزوراء. كما درس في المدرسة الإعدادية اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية فضلا عن أعمال أخرى منها الكتابة في قلم المكتوبجي (السكرتير العام للولاية) وعضوية مجلس المعارف مجلس إصلاح المدرس الرسمية في بغداد وملحقاتها.

سافر إلى الأستانة (استنبول حاليا) وبدأ هناك في الاتصال والاحتكاك مع الجمهور مباشرة حيث كان يخطب في المساجد كلما سئحت له الفرصة ونتيجة لخطبة المنندة بالاستبداد والشايات حجر عليه هناك ثم نفاه السلطان عبد الحميد إلى جزيرة رودس ثم عفا عنه وأعادته إلى بغداد ثم رجع إلى الأستانة وبدأ في التدريس في جامعة استانبول مادة تاريخ الأدب العربي حيث كانت له شخصية قوية تترك جميل الأثر في نفوس الطلاب إذ كان واسع الثقافة محيط بجوانب المعرفة فقد خاض في مواضيع متنوعة دلت على قابليات متسعة. عندما كان المدرس في الأستانة تشكلت في سوريا الحكومة العربية ونودي بالأمير فيصل بن الشريف حسين ملكا على سوريا فدعا الأمير فيصل الأستاذ فهامي المدرس للمساهمة في بناء مؤسسات الدولة الجديدة وقد أسرع الأستاذ المدرس بتلبية الدعوة ومكث فترة في الشام ثم سافر إلى أوروبا ضمن الوفد السوري المسافر إلى باريس وقد قضى المدرس سنة ونصف متنقلا بين باريس ولندن ومريد وقد أثرت هذه الفترة القصيرة في حياته بعد ما استفاد من جامعات أكسفورد وكمبرج والسربون إذ اطلع على أنظمتها الإطلاع العميق.

وبعد إن قضى على حكم الملك فيصل في دمشق وأصبح عام ١٩٢١ ملكا على العراق رجع الأستاذ المدرس من أوروبا إلى بغداد عينه الملك فيصل رئيس الأمانة في البلاط الملكي الذي لم يكمل فيه سنة بسبب قوة شخصيته والحضور الطاغي الذي كان يمتلكه اجتمع عليه عدد من الأعداء هم كل من الإنكليز الذي

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

فخرى ربيع

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

وبقى يزود الصحف بمقالاته السياسية والثقافية والإصلاحية التي عالجت إحداث العراق الداخلية وإحداث العالم فكتب في قضايا السياسة الداخلية والوحدة العربية والوطن العربي، وفلسطين، التعليم، والمجتمع، وقضايا الشعب بصورة عامة والأدب، ولكن أكثر القضايا التي عالجها كانت قضايا السياسة الداخلية وأوضاع العراق بشكل عام، كالمظاهرات والانتداب والاحتلال والبرلمان والوزراء وموقف المعارضة من هذه القضايا. أما أسلوبه في الكتابة فقد تميز بوضوح العبارة والتناسق في الألفاظ والانسجام في التركيب، إذ اختار عباراته والفظه اختيارا موقفا، وكثرت في مقالاته آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والأمثال العربية، واحتشدت بالأمثلة من التاريخ الإسلامي والأوروبي. ولم تقتنه الحوادث المعاصرة وإخبار العالم الغربي التي كان يستفيد منها من قراءاته للجرائد، ولم تقتنه الاستشهاد من تاريخ الدولة العثمانية وأخذ العبرة منها بعد المقارنة بين حودتها وحوادث العراق المعاصر. ومن ملامح أسلوب المدرس الواضحة طريقة (الكاركاتور) فهو يرسم صورا لاذعة ويصور الأحداث بسخرية جميلة ويصف حوادث الحياة السياسية المعاصرة بتهكم لاذع مرير.

وجدوا فيه مناوئا قويا يفضح خططهم فضلا عن منتقنين وطامعين في الاستحواذ على المناصب خافوا من قوة شخصيته وصلته الوثيقة بالملك وبسبب هذه الأجواء انقطعت صلة الأستاذ المدرس من البلاط في أيلول ١٩٢٢. اصدر الملك فيصل إرادة ملكي بتأسيس جامعة آل البيت في العراق، فتألفت في يوم ١١ كانون الثاني / يناير ١٩٢٢ هيئة تأسيسية من رجالات عراقيين ومن خبراء أجانب فنيين وكانت برئاسة الأستاذ محمد علي فاضل أفندي وزير الأوقاف وعضوية كل من المستر كوك مستشار وزارة الأوقاف والميجر ويلسن مدير الأشغال العامة وصالح الملي رئيس مجلس وزارة الأوقاف وحمدي الأعظمي مدير الأوقاف والأستاذ فهامي المدرس. وبعد ان تم افتتاح الجامعة عام ١٩٢٤ عين الأستاذ فهامي المدرس امينا للجامعة (رئيس الجامعة) (١٩٢٤-١٩٣٠) وتقلد ادارة المعارف العامة بعد ذلك بفترة قصيرة واستقال. عارض الأستاذ المدرس معاهدة العراق مع بريطانيا عام ١٩٣٠ فهاجمها وفند بنودها بمقالات كانت الصحف تكتفي عن اسمه فيها بالكاتب العراقي الكبير حتى صار كالاسم المستعار له ونتيجة لمواقفه السياسية تعرض للنفي في العام ١٩٣١ إلى كويسنجق في شمال العراق رفقة الصحافي المعروف روفائيل بطي، وبعد عودة من المنفى إلى بغداد

يوم كتب الدكتور ناجي الأصيل عن استاذة فهمي المدرس

د. ابراهيم خليل العلاف



الدكتور ناجي عبد الله الاصيل (١٨٩٧-١٩٦٣)، واحد من المثقفين العراقيين الذين اسهموا في ترسيخ اسس الدولة العراقية الحديثة، عمل مديرا عاما للاثار، كما ترأس المجمع العلمي العراقي فضلا عن بعض المناصب الدبلوماسية التي تسلمها في فترات مختلفة من الزمن مع انه كان طبيبا..



اما فهمي المدرس (١٨٧٣-١٩٤٤) فهو عالم من اعلام الادب والفكر والحريية في العراق كرس حياته، كما يقول الاستاذ الدكتور يوسف عز الدين، لخدمة العراق وسعادته.. وكانت له اسهامات كبيرة في تطوير الفكر العربي في العراق بكتابات الوطنيه والاجتماعية والسياسية التي كانت تنشر افتتاحيات في الصحف العراقية يقبل عليها الناس بشغف شديد وترقب دائم.. وفهمي المدرس، يعد من الاوائل الذين نقلوا النشر في العراق من جمود القرن التاسع عشر بالفاظه المنمقة المزخرفة المحنطة بسجعها الممل المفتعل الى ميدان ربح من السلاسة في التعبير واليسر في البيان والعدوبة ونقل الفكرة.

كان ناجي الاصيل يعد نفسه تلميذا لفهمي المدرس

العزيم الثعالبي (تونس) وطه الهاشمي ومنير القاضي وعبد الاله حافظ وغيرهم من الباحثين، وقد بذل جهدا صادقا ومشقة في رفع مستواها العلمي، وكان طلابها يدرسون خير العلوم.. بيد ان الاسف يحز في النفس عندما لم تدعها المعارضة تستمر في رسالتها وقطعت عنها المخصصات وكان ذلك مقدمة لغلغها سنة ١٩٣١ ولما اعتزل الاستاذ فهمي المدرس جامعة آل البيت لم يترك المعارضة فقد زود الصحافة بمقالاته السياسية المشهورة)) والمدرس (شاعر بالسليقة وعالم اديب تظهر سعه اطلاعه وعمق تفكيره في كل ما يكتب وما ينشر كان يبعث الهمم في نفوس الاساتذة ويدفعهم نحو العمل. يواصل الدكتور الاصيل حديثه فيقول ((عندما عدت الى العراق في اواخر سنة ١٩٢٥ طلب مني تدريس علم النفس وما وراء الطبيعة، فاعتذرت لاني لم اجد في اللغة العربية من الكتب ما يكفي لتدريس هذين العلمين الجليلين، فما كان منه الا ان قال: كل هذه الكتب الاجنبية موجودة بين يديك وانت وانا موجودان وتعتذر عن العمل. وقد كان والحق يقال يساهم في ترجمة الفكرة ووضع المصطلحات لهذه العلوم الحديثة فهو كالبحر العميق)). ويستمر الدكتور الاصيل في حديثه ليقول ثانية: ((كنا ندراس الموضوعات النفسية الدقيقة ومن خبرتنا في الحياة متخذين من النفس ساحة تجارب واختبار وكان لبعض الايات القرآنية شأن عظيم في انارة الطريق امامنا... ومن ذلك الاية الكريمة ((ونفس وما سواها فلهما فجورها وتقواها قد افلح من زكاهما وقد خاب من دساها)). ففي هذه الجملة القصيرة المعجزة خلاصة الخلاصة لعلم النفس والاخلاق...)).

ومن الطرائف التي رواها الدكتور الاصيل عن جرة الاستاذ المدرس انه قابل في احد دواوين بغداد نوري السعيد وكان رئيسا للوزراء فبارده السعيد قائلا: كيف حال استاذنا؟ فاجابه المدرس على الفور: موزين.. ليش مولانا؟ والله اقول الصدق: كلما دنزوع ورد يطلع شوك! فلم يرد نوري السعيد وجلس)).

وكانت لفهمي المدرس اسهامات فاعلة في دعم حركة رشيد عالي الكيلاني (مايس ١٩٤١) ضد الانكليز وعمالهم ويقول الاصيل انه في اليوم الثاني للحركة ((سمع المرحوم فهمي المدرس يخاطب من الراديو ويهاجم الانكليز ونوري السعيد وعبد الاله بحماسة منقطعة النظير)). وقد قال للاصيل (يا اخي انها فرصة عرضت على لابت مبدئي وانود فيها عن عقيدتي وهاجم اعداء امتي وقومي فيجب ان اغتنمها وليس المهم التضحية بالقضايا الفردية...)).

رحم الله الاستاذ فهمي المدرس ورحم الله الدكتور ناجي الاصيل، فقد كانا بحق صورة حية لما ينبغي ان يكون عليه المثقف الوطني الاصيل وقمين بنا ان ننقل هذه الصورة ونسلط عليها الاضواء لتكون قدوة وانموذجا لشبابنا اليوم.

استانبول، وكان رحمه الله قد جاء من بغداد في اخريات ايام السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩.. وقد روى لي انه وجد عند وصوله استانبول مظاهرة في تموز ١٩٠٨ وفيها من يهتف لتحيا الحرية ولتحيا العدالة وليحيا الدستور وسرعان ما وجد المدرس نفسه وسط هذه المظاهرة ((ينغمس بالتظاهرة بلا شعور وسط هتافات مع الهاتفين بحياة الحرية والعدالة والدستور وبسقوط الاستبداد...)). وقد بقي رحمه الله من يومه ذلك يدافع عن هذه المبادئ حتى وافاه الاجل.. يقول الدكتور الاصيل ((ان الاستاذ المدرس شخصية فذة، فهو عالم واديب استاذ باخلاق نبيلة وسجايا عالية، وقد صحبته مدة طويلة لم اسمع منه كلمة رخيصة في انسان حتى في خصومه ورغم معارضته الشديدة لنظام الحكم في العراق والملك فيصل الاول ١٩٢١-١٩٣٣، فقد كان الملك يقدره ويحترمه على سجاياه النبيلة الفاضلة بل كان يقدمه في امور كثيرة رغم حماسه في سبيل وطنه.. وقد اناط به الملك امانة جامعة آل البيت...)). و ((لما افتتحت جامعة آل البيت ببغداد في ١٥ آذار سنة ١٩٢٤، انتدب لها خيرة الاساتذة مثل الاستاذ عبد

وصديقا وفيما له، ومن اقرب الناس اليه، وقد شاعت مكتبة النهضة ببغداد وصاحبها المكتبي الرائد عبد الرحمن حياوي في اوائل الستينات من القرن الماضي ان تحيي ذكرى الاستاذ فهمي المدرس باعتباره من رواد الفكر العربي الحديث فتوجهت الى الدكتور ناجي الاصيل، وكان انذاك رئيسا للمجمع العلمي العراقي تسألته عن ذكرياته وبواكير معرفته بالاستاذ فهمي المدرس، فقال الاصيل: ((كانت اول معرفتي بالاستاذ فهمي المدرس في سنة ١٩١٧، اذ كان استادا في جامعة استانبول (دار الفنون) لتدريس الادب العربي.. وكانت استانبول تموج وتمور باحداث العالم وحررها الطاحنة الضروس، اذ اتفقت دول الاستعمار على تقسيم الدولة العثمانية المترامية الاطراف والتي كان يحلو لها ان تسميها الرجل المريض، ورغم استبدال جيوش الدولة انذاك من اربع جهات، الا ان القوى تلك التي صارتها كانت اقوى من ان تصمد امامها الدولة العثمانية التي تحارب بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية باساطيلها وجيوشها...)). ويضيف الدكتور الاصيل الى ذلك قوله: ((في مثل هذا الجو تعرفت على الاستاذ فهمي المدرس في

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

